

فقال منهم قائل: زعم طوائف من الأطباء وكثير من متقدميهم، أن الطريق الذي يدرك فيه الطب هو التجربة فقط، وحدّوه بأنه علم يتكرر الحسّ على محسوس واحد في أحوال متغايرة، فيوجد بالحس في آخر الأحوال كما يوجد في أولها، والحافظ لذلك هو المجرب، وزعموا أن التجربة ترجع الى مبادئ أربعة، هن لها أوائل ومقدمات، وبها علمت وصحت، وإليها تنقسم التجربة، فصارت بذلك أجزاء لها، فزعموا أن قسماً من تلك الأقسام طبيعي، وهو ما تفعله الطبيعة في الصحيح والمريض: من الرعاف، والعرق، والاسهال، والقيء التي تُعقب في المشاهدة منفعة أو ضرراً. وقسماً عرضياً، وهو ما يعرض للحيوان من الحوادث والنوازل، وذلك كما يعرض للإنسان أن يجرح أو يسقط، فيخرج منه دم قليل أو كثير، أو يشرب في مرضه أو صحته ماءً بارداً أو شراباً، فيعقب في المشاهدة منفعة أو ضرراً. وقسماً إرادياً، وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة وذلك كمثل منام يراه الإنسان، وهو أن يرى كأنه عالج مريضاً به علة، مشاهدة معقولة بشيء من الأشياء معروف، فيبرأ ذلك المريض من مرضه، أو يخطر مثل